

منشئ المجلة

أنطون نجيب

الزهري

المدير المسؤول

امين تقى الدين

الجزء الثالث

مايو (ايار) ١٩١٣

السنة الرابعة

شاعرية خليل مطران^(١)

على راية الفرقة يعلّق القائدُ شارةَ المجد والشرف ، عند ما يبلي
أفراد تلك الفرقة البلاء الحسن في مواقع القتال ...
وفي ميدان النهضة الادبية الحديثة أبلى شعراؤنا بلاءً حسناً ،
فكان سموً افندينا المعظم قد علّق تلك الشارة على رايّتهم اذ وضعها على
صدر شاعرنا خليل مطران ...

فليهنّا الخليل حامل لواء الشعر المصري ؛ وليهنّا النيشان الذي حلّ
على صدر يحوي الدرّ والجوهر ؛ وليحمد مليك البلاد على آلائه وليشكر ...
أما بعد . فقد رأيت أن خير ما يصاغ من التهاني في مثل هذا
الاحتفال الزاهر هو حديث أطار حكم اياه ، ايها السادة ، عن المحتفل به
وعن شاعريته . فأقول :

« منشدٌ للفرام لم يشدْ إلّا كان إنشاده نوحاً شجياً »

(١) خطاب قدّمه منشئ هذه المجلة الى « مجلة سركيس » بمناسبة حفلة تكريم خليل

افندي مطران

« شاعرٌ كان عمرُهُ يَتَ تَشْيِبُ وكان الأثْنُ فِيهِ الرَوْيَا ،

« إِنَّ فِي نَظْمِهِ لِحَسًّا لَطِيفًا بَاقِيًّا مِنْهُ فِي السُّطُورِ خَفِيًّا ،

هي أبيات كتبها خليل مطران على الصفحة الأولى من ديوان

الشاعر الفرنسي « ألفرد ده موسه » . ولا يسع من ينظر فيها الا ان

يقابل بين حالي الواصف والموصوف ، وشعر الأول والثاني ، فيجدها

تنطبق أتم الانطباق على الاثنين : كأن الشاعر العربي وصف حاله لما

وصف حال الشاعر الافرنجي ...

من المعروف أن حياة الكاتب ، والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيه

تأثيراً كبيراً في كتابته . ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل :

دبَّ شاعرنا وشبَّ تحت سماء سوريا الجميلة ، بين جبالها وقمها

البيضاء ، أمام بحرها الصافي وأمواجه الزرقاء ، فجاء شعره رقيقاً لطيفاً...

ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدينة القديمة وصروحها العظيمة ،

فكان إنشاده نغمًا عظيمًا . عاش تارة في القرى والجبال ، فتشرب حب

الفضيلة والطبيعة ، فاستمعنا الشعر زاهراً طاهراً ؛ وعاش طوراً في المدن ،

فراعه ما فيها من التعاسة والشقاء ، فالتقى علينا إنشاده مبكياً زاجراً

قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجهُ مدارجَةً تَمَثِّلُهُ لَدِيهِ فِي

كل حالة مرَّ بها » ولقد أصاب في ذلك ، فان شعره بالحقيقة رسمٌ تمثَّلَتْ

لنا فيه كل أطوار صاحبه ، وارتسمت بين أبياته كل عواطف قلبه ،

وتأثرات فؤاده . وهذا سرُّ محاسن شعره العديدة

وصف لنا خليل حياته في صباه ، بين آثار بعلبك ، فيمثلناه :

« نَزَقًا يَبْنِيهِ غَرًّا لَعُوبًا لَاهِبًا عَنْ تَبَصُّرٍ وَاعْتِبَارٍ »
« مُسْتَقَلًّا عَظِيمًا مُسْتَخَفًّا مَا بَهَا مِنْ مَهَابَةٍ وَوَقَارٍ »
« نُبَارِي عَذْوًا كَأَنَا فَرَاشًا رَوْضَةً مَا لَنَا مِنْ اسْتِقْرَارٍ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

« فِي هَجْرَةٍ لَا انْسَ فِيهَا لِلْغَرِيبِ وَلَا صَفَاءَ
تَقَادُفُ الْآفَاقِ بِي قَذَفَ الْعَوَاصِفَ لِلْهَبَاءِ
وَتُحِيطُ بِي لَجْجُ الصَّرُوفِ فَمِنْ بَلَاءٍ فِي بَلَاءٍ »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطراً شطراً ، من مطالعة ديوانه شطراً شطراً

فلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر ؛ وهذا ما قوَّى فيه الخيال والشعور . ومعروف أن هاتين القوتين هما جناحا الشاعر يحلق بهما الى أعلى سماء الشعر ؛ ويأمن تهمشهما اذا كان العقل رائده في حمانه العلوية . وقد قال في مقدمة ديوانه إن شعره هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال » أي ان الذي أوحاه هو الحس والعقل والخيال . وهذا هو التقسيم الذي نتبعه في درس شعره :

١ - الخيال :

هو أقوى قوانا العقلية لأنه وحده القوة الفاعلة الموجدة ، وسائر القوى ، كالحس والحافظة والعقل ، ليست الا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدّه مرمونتيل « صورة تتكلم او كلاماً

يصوّر ، وهو كذلك ، يكون الخيال شرط الشاعرية الأول . وقد قيل :
 « الشعر هو ابنُ الخيال البكر » . وبفضل هذه القوة يفوق الشاعرُ
 المصوّر ، لأنه بكلمة واحدة كثيراً ما يمثّل لنا مشهداً يقتضي تصويره
 ألواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيراً ما رأينا « خليلاً » أدقَّ تصويراً
 وأبلغ رسماً من أمهر المصوِّرين ، فاذا وصف مثلاً الجنديَّ الجريح وقائده
 يقلّدهُ وساماً ، قال :

« فقلّده وساماً وكلُّ جراحةٍ فيه وسامٌ »

واذا كانت نفسه مثقلةً بالهم ، يرى ذلك الهم

« كبحرٍ ضمَّ في جوفه البعيد غريقاً »

واذا شكت عينه المسهّدة طول الليل ، فهي :

« نحسب السرج في حشاهُ قروحاً وترى الشهبَ في سماهُ حروقا »

وهذا بيتٌ تكاد تكون كلُّ كلمةٍ فيه صورةً حسيّة

واذا تبسم أمامه عبدٌ يرى ابتسامه

« ... مثل وميضٍ في حالِكٍ مسودّ »

ويرى الليلة الجميلة :

« أشبهَ بالجارية الغراء في حلةٍ شفافة سوداء »

واذا تمثّل الشمسَ منيرةً في كبد السماء ، تصوّر له مخيلته المتقدمة

هذا المنظر تصويراً يعجز عنه قلم المصوّر ، فيقول :

تبعثُ الشمسُ باهراتٍ شعاعٍ تغتدي بأحذارها شبهَ رُبْدٍ

فهي في الافق تارةً مسحاتٌ من بهارٍ وتارةً نثرٌ وردٍ

وهي بين الفصون نسج دقيقٌ
واذا خاطب الغادة الحسناء ، قال لها :

أنت ابتسامٌ صيغ في قطرةٍ من الندى في قبسٍ من صباح
واذا رأى قرطين (حلقاً) في أذن تلك الحسناء تصورهما « دُرّاً
جری من صَدَف »

واذا رآها مكحلةً بزهر الفل أعجب « بالورد يحمل فلا »
واذا كانت تلك الغادة مقبلةً رآها :

« كالغصن أثقله الجنى فقال قليلاً واستوى متقوماً »
واذا وصف الصبية اللعوب الطروب ، قال فأبدع وصفاً وتشبيهاً :
« ضحاكةٌ كالنور في الزهر رقاصةٌ كالغصن في الوادي »
« كزارةٌ كنسيمة السحر ثرثرةٌ كالطائر الشادي »
وهل تكون مثل هذه الفتاة اذا نزل بها همٌّ إلا :
« كطائر راقهٌ غديرٌ فرفةٌ جانحاً وطاز »
واذا عبث الهواء بشعرها قال :

« وتناثرت ضفرُ الفتاة غماماً سترت عن الأبصار طلعةً نجمها »
واذا وصف الولد الذي لا يقرُّ له قرار ، قال :

« كزهرة روض تمرُّ بها فتقلقها النسمُ السائر »
واذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها
كالجنِّ في جدِّ العواصف تلعب « واذا وصف سلطة الملك صاحب
الشوكة والاقدار ، قال :

« أنت الرجله فأني شيء ترتجي والروح أنت فأني شيء ترهب »
 « والمملك جسم أنت فيه هامة ويداك مشرق شمس والمغرب »
 أو قال ايضاً فأجاد :

« وكأن درة سيفه عين ترى ما تحت قائم سيفه آجلاً »
 فما أبلغ هذه الاستعارات والتشاييه وما أجمل !
 وإذا وصف جبلاً مزحلقاً صورده :

« كثير الثلوم كأن الفتى اذا زل يهوي على مبرد »

وهو يبت من قصيدة عصماء عنوانها « فتاة الجبل الأسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاء التفنن . من ذلك انه عندما يصف جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحة القتال لا يصفه كما وصف جمال غيرها من الحسان ، بل يراعي مقتضى الحال ، ويستعير كل صورده من التعابير الحربية ، فيقول :

« لهيب الحروب على وجنتيه والنقع في شعره الأسود »
 « وفي عينه مثل برق السيوف وظل المنية في الأثمد »

وعند ما تنكشف حقيقة هذا الفتى — أو بالأحرى هذه الفتاة — فتكشف عن صدرها أمام قائد الأعداء ، يُدع خليل في وصفها أيما ابداع اذ يقول :

وأبرز نهدي فتاة كعاب بطرف حتي ووجه ندي
 كحتمي لجين بقفلي عقبى وكنزين في رصد مرصد
 فكبر مما رآه الأمير وهل كل من الشهد

وراعهمُ ذانك التوأمين وطوقاهما من دم الأكد
 ووثبهما عند ما أطلقا الى ظاهر الدرع والمجد
 كوثب صغار المها الظامثات نفرن خفافاً الى مورد
 ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحى الخيلة الى شاعرنا
 من لطائف الابتكار . وله قصيدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع
 الصور وملعب الخيال . وقد جعلته بحق يسمى « شاعر بعلبك والاهرام »
 وبالأجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليه أبصاره ،
 فيحق له ان يقول كما قال لعروس شعره :

وأبدل نور الشمس ما شاءت المنى عبقاً وتبراً ساكباً ونضارا
 وأنظم من زهر الدجى لك خاتماً وتاجاً وعقدأً فاخراً وسوارا
 وأضع نوطاً باهراً من هلالها وأنسج من غزل الضياء دثارا
 وهذا الذي وضع خليل في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف .
 اما في الشعر القصصي والخطبة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب ،
 فافترأوا « عين الأم » و « نابليون الاول » و « ليون يوسف افندي »
 و « حكاية شاعر » و « شهيد المروءة » و « العصفور » و « العقاب »
 و « مقتل بزرجمهر » و « الطفلة البويرية » و « حكاية عاشقين »
 و « الجنين الشهيد » الخ تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع
 على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً . اذ يكون نظمهُ والحالة
 هذه بارداً جامداً ، نرتاح اليه ونجد فيه بعض البهجة ، لكنه لا يحرك فينا
 ساكناتنا ، ولا يثير شعوراً كامناً ، كما نرى ذلك في شعراء الوصف ؛ فان
 هناك ركننا آخر يقوم عليه بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ - الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس أكثر شعري هذا بين الطرس والمداد إلا مدامع ذرفتها ، وزفرات صعدتها ، وقطع من الحياة بددتها ؛ ثم نظمتها فتوهمت اني استمدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » . بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثر في النفس وان خلا من كل صورة ، لانه صورة الحياة الحقيقية . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . كقوله مثلاً في « مشاكاة » وهي من اوليات قصائده :

« أرى مثل سهدي في الكوكب أحلّ به مثل ما حلّ بي
 بهيم هيامي من وجد ويهرب من مهد مهري
 ونجتاز هذا الفضاء الرقيب إلا بنا فهو لم يرحب
 فبا نجم ما النار تُفني حشاك وما سيل مدمعك الصيب
 أمير هواك الى صاحب يواخبك في همك المنصب
 اما كل ذي كاف متعب شريك لذي الكلف المتعب »

فهذه أبيات كاهل رقة وشعور على خلوها من الصور وأساليب البديع . وان في المواضع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل لبرهاناً واضحاً على شعور كبير مقرون بخيال حاد . فالحادثة البسيطة تهيج عواطفه وتثير اشجانه . فينظمها ويحيي ، نظمها محرراً عواطف قارئه مهيجاً احزانه . اسمعه يتكلم عن مهد الطفل تظنه الأم الحنون :

وبهزّة خفقُ القوَادِ على مناجاةِ الضمير
وإذا سمعَ ذاكَ الطفلُ يناغي — في مهدِهِ، فضلاً مناغاته على هديلِ
الطيورِ وتغريدِ البلابلِ

« فكلاماً أنشدَ علَمَ الطيورِ النغما »
« وجمعَ الأملأَكْ حولَ المهدِ يُسمعُها شدوَ المني والسعدِ »
هو يشعرُ بالألمِ فيصوّرُ لنا القوَادَ المتألمَ :
« كشلوا بَأنيابِ المومِ مبضّعِ »
ويدري أي تأثيرٍ يصيبُ القلبَ المجروحَ فيمثّلُ عواطفهُ المكسورة
« كجرحٍ قد أطفأهُ بلمسي وإن هو مسّةٌ غيري أضامُ »
هو يفهمُ قيمةَ الدمعة التي قال « لأمريتين » أن فيها من الشعرِ أكثرَ مما
في دواوين جميع الشعراءِ ، فيمثّلُ لنا الدموعَ غاسلةَ كلِّ إثمٍ ، مطهرةَ من
كلِّ دنسٍ

هو ذاقَ من الحبِّ حلوهُ ومرّهُ فيمثّلُ لنا الحبَّ تارةً غايةَ الحياة ،
وطوراً الباعثَ على كلِّ أمرٍ عظيمٍ
والحبُّ ألزَمُ للارواحِ ما عظمت
أما تحديدهُ للحبِّ فهو :
وقد يكونُ لها أدعى إلى العظمِ

الحبُّ في المعنى العميمِ الكاملِ معنى المراحمِ والفداءِ الشاملِ
يعرفُ أن قلبَ الإنسانِ يعيشُ ويفنى من هذه العاطفةِ في وقتٍ
معاً فيقول :

أسكرني على الدوامِ وأفني مهجتي أدمعاً وعزمي حريقاً

وينصح اخوانه اذ يقول :

أحباي اني مذ أفقتُ من الهوى شقيّ فكونوا الدهرَ فيه سكارى
أما الذي لم يُدرك هذه العاطفة فهو لم يُدرك سرَّ هذه الحياة :
بأنَّ لم يُحبَّ فما الصفاة له صفوٌ وما أكدارُهُ كدُرُ
ويرى الحياة ولا يعيش كما مرَّت على مرآتها الصورُ
ويقول عن قلبه وهو يعني كل قلب

يبغي الشفاء من الولوج ولا شفاء مع الولوج
ألف الصباة فهي أمُّ مُرضع وهو الرضيع
والطفلُ يشقى بالظلم فكيف يقبله مطيعٌ

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يحول في صدر شاعرنا الربح
من العواطف ، كحنينه الى الوطن ، وعطشه الى ذلك المنهل الصافي الذي
روى صباه ، ووفائه لأصدقائه ونزوعه الى كل أمر نبيل . فان فؤاده
كصحيفة حساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها ، بل هو الفصن الرطب
يميل به كل نسيم ، أو وجه البحيرة الصافي يحركه كل ريح . وهو القائل
عن نفسه :

والذي درعه فؤادٌ رقيقٌ فخرج إن يقتحم أو يقاوم

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ بيت

« وفي الجسم نازٌ يلذغ القلب وقدّها وفي القلب نازٌ مثلها تلذغ الجسم »

واذا كان صاحب القلب الرقيق شاعراً من طبقة خليل فهو يصيح :

« أنا الألم الساجي لبعد مزافري أنا الأمل الداجي ولم يخبُ نبراسي »

« أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسي أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماس »
 رقت حواشي مهجته وشفّت عن محرّكات نفسه ، فسمعنا خفوق
 قلبه ، ورأينا ذلك القلب كما يصوّره :

« وقلبي مسموعُ الخفوق معلقٌ بنهدمِ الأركان أجوفٍ معتلٍ »

بل ما أبلغ التصوير وما أشدّ التأثير عندما ينادي :

اللهُ في صدرٍ وهى وتقوّست منه العظامُ

خاو كجوف الغار تمّ لألهُ المخاوف والظلامُ

إلاً سراجاً حائلاً فيه يُنير بلا ابتسامُ

روحٌ تضيئ على ضرٍ يحرق في صميم القلب قنمُ

المجال واسع لكتابة درس من أبلغ الدروس النفسية في شعور
 الشاعر يقتبس من شعر الخليل . بل ان في قصيدته « المساء » التي
 نشدها وهو عليلٌ في مكس الاسكندرية كفاية . فمن يطالعها يرى
 « قلباً أذابه الصباية والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره
 الى البحر وهو :

نأو على صخر أصمّ ولت لي قلباً كهذي الصخرة الصماء

يتأبها موجٌ كموجٍ مكارهي ويفتّها كالسقم في اعضائي

وبالحرّ خفاقُ الجوانب ضائقٌ كدأ كصدري ساعة الامساء

تفتى البرية كدرةً وكأنها صعدت الى عيني من احشائي

ومن كانت هذه حاله يرى في غروب الشمس دمعة تذرفها الطبيعة
 على موته فيخال تلك الشمس المؤذنة بالزوال :

مرّت خلال غمامتين تحدّراً وتقطّرت كالدمعة الحراء
فكأنّ آخر دمة للكون قد مُزجت بآخر أدمي لرائي
فمن منا لم يشعر بمثل هذه الكآبة . ولكن قليل من له مثل هذه
المقدرة على إبراز هذه العواطف في ذلك القالب الفتان . يتمنى شاعرنا أن
يكون له قلب « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ، ليأتي
بمثل هذه الآيات اليبّات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤها الا من
جراحها فكذلك قلب الشاعر لا يسيل شعره الا من جراحه . أو كما
أن العنقود لا يجود بعصيره الطيب ، ما لم تضغطة الآلة العاصرة ، كذلك
قلب الشاعر ، لا يجود برقيق القول ، ما لم تضغطة يد الأحزان والشقاء...
قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان فكتور هوغو ، وفيه ما فيه من
توجع فؤاده : « فليتبارك الرب الذي يرسل لنا مثل هذه المصائب ،
ليُخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع ١٠٠ »

٣ — العقل

أيها السادة . رأينا في شعر خليل عمل القوتين الأساسيتين في
الشعر — أي الخيال والشعور ؛ وهما قوتان قد تشردان اذا لم يكن هناك
قوة ثالثة — وهي العقل — تخفف من غلوائهما . وقد أصاب قدماء
اليونان اذ صوّروا الشاعر في مركبة يقودها جوادان جامحان — هما
الخيال والشعور — وجعلوا زمامهما سيف يد « العقل » ، لتلايطوهما
بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بأنه « الفلسفة

تحمل زهراً» وهذا أيضاً ما أرادته خليل ، لما قال إن شعره « شعر خيال
وحياة وحقيقة » . فهو الشاعر الفيلسوف الذي يمعن النظر في حوادث
هذا الكون وعلاها ومعلولاتها ، ويستنتج منها العبر والحكم . وفي شعر
خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون
احتفالاً أقيم اكراماً لنابليون الثالث . فنظر الى الشعب المتجمهر الهاتف
هتاف النصر نظرة غضب وازدراء ، وقال لمن حوله « هكذا يخلقون
الظلام...! » هذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي ، فاليكم ما قاله شاعرنا
العربي عن كسرى وقومه :

هم حَكْمَوْهُ فاستبدَّ تحكُّماً وهمُ أرادوا أن يصولَ فصلاً
والجهلُ دأبٌ قد تقادمَ عهدُهُ في العالمينَ ولا يزالُ عضالاً
لولا الجَهالةُ لم يكونوا كلُّهم إلّا خلّاقَ أخوةٍ أمثالاً
لكنَّ خفضَ الأكتفينَ جناحهم رفعَ الملوكِ وسودَّ الأبطالاً
وإذا رأيتَ الموجَ يسفلُ بعضُهُ ألفيتَ تاليهَ طغى وتعالاً
نقصُ لفطرةِ كلِّ حيٍّ لازمٌ لا يرتجي معه الحكيمُ كلالاً

فهذه أبيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشنّ شاعرنا الفارة
على السلطة بل يريد لها مبنيةً على العقل والتروي ، ألا وهو القائل
« والحكم أعدلُ ما يكون جدلاً » ولكن هو الاستبداد يملئ عليه مثل
هذه الايات :

نم هي دارُ الملوكِ عتيقةٌ ولكن غدت للفحش داراً وبشماً
بنائه ببالِ الناسِ قلمُ جبايةٍ ولو ذوبوا تذهيةً لجرى دماً

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة اينما رآها . اسمعوه يخاطب

ملوك مصر بناء الاهرام

لَمْ يُغْنِكُمْ مِنْهُ الْبِنَاءُ عَالِيَا وَالْأَرْضُ نَهِيًّا وَالْمُلُوكُ أَعْبَدَا

وَكُنْ يُغْنِيكُمْ جَمِيلُ الذِّكْرِ لَوْ خَفَضْتُمْ الْاَلْحَدَ وَشَدَنْتُمْ بِالْهَدَى

وهو القائل ايضا :

مَعْرَةُ الظُّلْمِ عَلَى مَنْ ظَلَمَ وَحُكْمُ مَنْ جَارَ عَلَى مَنْ حَكَمَ

كل هذا لأن الخليل فهم مهمة الكاتب ، ولا سيما الشاعر ، وهي
مناصرة الخير ومناهضة الشر ؛ فاذا رأى القوي يعبث بحقوق الضعيف

يهتف :

فِيمَ احْتَبَاسِكَ لِلْقَلَمِ وَالْأَرْضُ قَدْ خُضِبَتْ بَدَمَ

سَدَدِ قَوِيَمَ سَنَانِهِ فِي صَدْرِ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمَ

الْيَوْمَ يَوْمَ الْقَسْطِ قَدْ قَامَ الْأُولَى ظَلَمُوا قَمَ

ثم ينبه قومه للنهوض من ثبات الجهل فيقول :

نَمْنَا عَلَى جَهْلٍ وَقَدْ عَاشَ الْكِرَامُ وَنَحْنُ لَمْ

فَإِذَا انْقَضَتْ آجَالُنَا فَمَنْ الرُّقَادِ إِلَى الْعَدَمِ

وَإِذَا بُعِثْنَا بَعْدَهَا فَكَيْفَ نَرُؤِيهَا حَلَمَ

يرى الخليل أجيال الناس « تَجِيءُ وَتَنْقُضِي » . يرى الممالك « تشيد

بالصورم » وتفتي بالمعائب . فبعد ذلك يقول :

وَلَمْ أَرَ شَيْئًا كَالْفَضِيلَةِ ثَابِتًا نَبَتْ عَنْهُ آفَاتُ الْبَلِيِّ وَالْمَعَاظِبُ

ثم نراه ، وقد كادت المصائب تصرعه ، يصبح من قلب مكالم :

غلبتني صروف دهري على صب ربي وأفته نارها في الملاحم
الأمان الأمان أقيت سيني وطويت اللواء نسليم راغم
ولكن إن هي إلا نفثة مصدور، لا يلبث بمد تفريجها ان يعود
فيظهر مظهر الرجل الجلد :

ثاني مكافئة الخطوب اذا دجا تقع الحوادث في الليالي السود
وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاء فيها
من المبادئ الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط
مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقين » و « الجنين الشهيد »
و « الطفل الطاهر » الخ .

*
* *

كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل — وهناك أيضاً غير ذلك
محاسن عديدة . وبدائع شتى — وهي على ما رأيت فيها من الجمال والثناء
كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتوها منظومة في عقدها لا منشورة
مستقلة كما أوردتها

وقد عرف شاعرنا أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد ،
وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ؛ فاحترس بصيغة العرب في التعبير .
وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير . فكانت نتيجة ذلك انه
ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سن له
من القواعد القديمة . قلنا بلا تقييد ولا تقليد لأن خيلاً نزوع الى الحرية
في كتاباته كما هو شغف بها في حياته

هذا بعض الشيء، عن شاعرية خليل مطران وعبقريته . وقد رأيتم
أيها السادة الخطـة الجديدة التي اختطها للشعر العربي — وهي خطة
المستقبل . فتي أنا بعد ذلك ان نعدّه استاذاً علماً في هذا الفن . وحق
لمصرنا ان يفاخر به وبأمثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية
أجل ياسادة ، جال الشعراء في عصر العباس جولة وصلوا بها جبل
النسب بين العصرين الزهرين ، والمهدين الناضرين : عهد الرشيد
والمأمون ، وعهد عباسنا الميمون . فمقدت في ذلك الانوية لابن الوليد
وابن هاني . وعقدت في هذا الشوقي وصبري وحافظ ومطران . فوضع
مولانا — حرسه الله — بيده الكريمة آية رضاه على صدر علمها الخفاق
فوق رأس فارسها السباق . كما يضع القائد شارة الفخر على لواء النصر —
ولفرسان البيان اسوة بفرسان الميدان



* اليمين *

انما يحمل الرجل على الخلف احدى هذه الخلال : إما مهانة يجدها في نفسه
وضرعٌ وحاجة الى تصديق الناس ايّاه ؛ وإما عيبٌ بالكلام حتى يجعل الأيمان
له حشواً ووصلاً ؛ وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة
من لا يقبل منه قول الا بعد جهد اليمين ؛ وأما عبثٌ في القول ، أو ارسال اللسان
على غير روية ولا تقدير

(ابن المقفع)



خواتم

« في الخيرات والشرور »

ترك الأولون من البشر للأخلاف كثيراً من الخيرات ، وخلفوا لهم وافرًا من الشرور ؛ وقد مرَّ الدهرُ تلوَّ الدهرِ ، وجاءت أجيالٌ خلف أجيالٍ ، وتلك الشرور ثابتة لم ترحزها العقول ، ولم تمتنع عليها النفوس ؛ بل كأنَّ السعيد الفائز من الاخلاف ، هو المحتفظ الضنين بذلك التراث ، فاذا ما تأملنا في أبدية هذه الأسواء وشبه ازلتها ، وجب علينا ان لا ننظر الى محافظة الأجيال على تلك التركة المباركة بنظر التهاون ، وان لا نجعل علتها التصادف ، بل يجب ان نحني الرأس قليلا امام ما هنالك من المجهولات التي اقتضت هذا الأمر ، عسى ان يُفتح لنا باب من ابواب العلم بعد تأدية هذه السجدة سجدة الاعتراف بوفرة اسرار الكون وعظمتها ، وليس ما يخفى على اكثر البشر إلا من الاسرار

ولقد اختلف كثيراً نظُّ المفكرين في الموازنة بين الخير والشر ، ومآل الأقوال كلها الى ثلاثة : من يرى ان الشر أكثر ، ومن يرى ان الخير أغلب ، ومتوسط يرى ان بين الخير والشر تعادلاً مع رجحان خفيف لجانب الخير

يقول مغلبو الشر : ألم ترَ ايها الانسان الى كثرة الامراض ، ووفرة الأحران ، وشدة العدوان ، وغلبة الحرمان ، وشيوع الشكوى ، وعموم البلوى ؟ .. ألم ترَ كيف يقلُّ أولو اليسار حتى يستطاعَ عدُّهم ، وكيف

يكثر المعسرون حتى يفوقوا العدة ، ويمعي عن لحاقهم المقدار ؟ .. ألم تر كيف يشيع الجهل حتى يصعد كل تلة ، ويهبط كل واد ، ويدخل كل بادية ، ونزور كل بيت ، ويحل كل دماغ ، وكيف يتقاصر العلم ، ويتقلص وينتحي ، وينطوي حتى تشد إليه الرحال ، ونحمل في سبيله الاثقال ، ونبتل في التفتيش عليه الاموال ، وننفق فيه السنون الطول ، حتى اذا ما اهتدى الطالبون الى جنبه ، وجدوا حوله طائفة من الخواجز ، فيرجع بأكثرهم المثل والضجر واليأس ، وما يفوز باقتحام تلك الخواجز الا قليل من الطالبين ، وما الطالبون بكثير . . . ألم تر الى العقول السليمة — على قلتها — كيف يؤذيها الجهل المجذر ^(١) بما اخترع من حكايات وتهاويل ، وكيف يسميها العلم الابر بما وضع من شروح وتاويل ؛ والى النفوس الكريمة كيف يقرزها ظهور القبيح واذاعته ، وكيف يؤلمها خفاء الجميل واضاعته ؟ .. وانظر الى الشهوات كيف تطفئ ولا تقف عند حد ، وكيف قضت علينا بالاستمرار في النصب ؛ وانظر الى قلة من تألفه النفس ، والى كثرة ما يحول مع هذا بينها وبين إلفها ، والى ما يصيبها بعد هذا كله من سهام الفراق ، وما يبروها بسببه من الجوى ؛ وتأمل في قصر الآجال مع طول الآمال ، وقلة المعاضدين مع كثرة المعاندين ، وضعف الوسائل مع قوة الرغائب ، وتهجم الظلمات مع تحجب النور ؛ وارم ببصرك الى كثرة الزمنى والمبرسين وأرباب العاهات ، ولا تتغافل عما يرافق العجز والاحتياج من المهانة ، والاحساس بالمهانة آلام

(١). العريق ذو الجذور الراسخة

عظيمة ، وقل لي بعيشك ما اكثر العجز والاحتياج في هذه الحياة ؛ بل قل لي أي الناس يفارقه شيء من العجز وشيء من الاحتياج ؛ هبك مليكاً ، ألا ترى انك عاجز عن كثير ، ومحتاج الى كثير ؛ فاذا يخامر قلبك كلما وجد طعم العجز ، وماذا تجده نفسك كلما ذقت الاحتياج ، وما هذه الدنيا التي لم يسلم من آلامها صغير ولا كبير ، ولا جليل ولا حقير ، ومتى يكون خيرها اكثر من شرها اذا كان هذا شأنها من ادخال الآلام لكل ذي روح على اختلاف وتفاوت بينهم في المقادير فقط ؟

ويقول مغترب الخير : لقد جعل الفاطر لنا البصر لندري به كل محسوس ، وأكرمنا بالبصيرة لنطلع بها على ما وراء المرئي ، وقد ملأ السموات والأرض بما لا يعد ولا يحصى مما يبهج النفوس ويسرّها ، فلماذا تغمي الأبصار والبصائر عنها كلها ، ولا ترى إلا الأمراض وآثارها ؛ أفندى نعم الشمس ، أم آلاء الأرض ؛ ألتخير البحر نسي أم استخدام البر ، أنفعل عما يفيضه التعاون البشري العام من بركات المقول ، وثمرات الهمم والنفوس ، أم عما توحيه الفطرة الانسانية من تعاطف القلوب ، وما تؤتبه من لذيذ العلاقة بين المحب والمحبوب ؛ يا للعجب كيف تقع الأبصار على بعض الأقداء ، وتعجز عن أن تمسحها بالمفاتيح الى روضة فيها طيب الأقوات للسمع والشم والبصر ؛ أين ذهب عن الأبصار جمال هذه القبة الزرقاء وقد طرحت عنها جلباب الغيوم ، وحسرت لثام الدجوات ، فأشرق محيطاً ، فقابلته الأرض راقصة تترنح أعطافها الأغصان ، وتصفق أكفها النسائم ، وأين ذهب عن البصائر جمال الحي

القيوم الذي نفخ من روحه في والد هذه الذرية المباركة الحاملة لواء
خلافته في الأرض (نغني النوع الانساني) ألا ترزق البصيرة تجلياً من
تجلياته تضيء به الدنيا كلها فلا يبقى أمامها إلا مسابح نور ، ومسارح
آمال ورجاء وسرور

لوصح أن الشر في هذه الدنيا هو الأغلب ، لكن سير هذا النوع
الانساني الى ما هو أفتح وأقص ، لا الى ما هو أجمل وأكمل ، مع أن
المشاهد هو أنه كان طول دهره سائراً الى التكمّل ، وآخذاً بالتلي
والتجمل ، فلقد كان الانسان كهذه الحيوانات السارحة في القفار ، أليف
آجام وحليف أوجار ، يدور يلتمس لما كله ورقاً وعشباً ، ويرد الغدران
والأنهار فيعبّ منها عباً ، لا يزرع ولا يصنع ، ولا يقني ولا يجمع ،
لا أداة لديه ولا ماعون ، ولا عهد عنده ولا قانون ، ثم قفز من بينه
تلك قفزة إذ ألهمه الفاطر أن يتخذ شيئاً من الأداة ، فاصطنع من
الحجارة قواطع وقواشر ونواحت ، وفصل بهذه الأدوات الحجرية ما
شاء أن يفصل من أعواد الشجر على حسب ما هدته اليه الحاجة . فعمل
من الأعواد مخيطاً ومسماراً ، ومخرزاً ومحفاراً ، ومقياساً ومعياراً ، وظلّ
كذلك يتدرّج بهذه الصناعات الابتدائية حتى توصّل الى الحديد ،
وهدي الى معرفة التصرّف فيه فيومئذ دخل في دور جديد فصله عن
الأدوار الاولى ، ومن بعد ذلك بدأ يأتي بالبدائع والطرف من الصناعات
حتى أصبح يبتدئ وماعونه وآتيته وأكسيته وأثاثه ورياشه وسائر طرف
زينته أشياء لا تقف عند حد ! وقد تحسّنت عند ذلك سحته وبنيته ،

وتهذبت طباعه ، وانقلب شتاته اجتماعاً ، وفوضاه نظاماً ، وبلغ من العلم حظاً تقصر كل مبالغة عن وصف عظمه ؛ وما الجهل الباقي بشيء يصح أن يسمى عقبةً في سبيل سلطان العلم الماضي الحكيم لأن كثير الجهل قليل ، فالف ألف جاهل مثلاً يستطيع أحد العقلاء أن يجعلهم تابعين لكلماته كما تتبع الغنم صوت راعيها . . . هذا وما نحن بمنكرين كثرة الشرور ، ولكننا مع كثرتها فلما رأينا شيئاً منها الآ ورأينا أمامه قوى بها يحتمل الناس شدائد ها . فإذا صح أن نسمي كل شيء من الشدائد مثلاً شراً لزم أن يصح تسمية ما يقابلها من القوى خيراً على أنه ليس من الحق أن نُظير بالشدائد ، وتبرّم بها ، وننقم عليها في حين أن كثيراً منها مرييات ومرفيات للأفراد والجماعات ، وبالله كيف يكون طعم الهناء لولا العناء ؛ وكيف كنا نستطيع أن نعرف سائر الأنواع المسماة خيرات لولا ما يقابلها من أضدادها إذ لولا المرض ، لقال قائل : ما هي نعمة الصحة ، ثم ما هي الفضيلة لولا الرذيلة ، وما هو الانبساط لولا الانقباض ، وما هو الذكاء لولا البلادة ، وما هو المجد والرفعة لولا المهانة ؛ فكأن هذه الشرور إنما وجدت ليكمل بها حظنا مما هي أضدادها

يشكو مغلبو الشر من الأمراض وبديهي أن صحة أكثر الأفراد هي الأغلب فإن مرض أحدهم في العمر مرة أو مرتين أو أكثر كان ذلك لتضاعف لذته يوم يرجع إليه بعد الهجر حبيبته العظيم الذي هو العافية ؛ وإن كانت نهاية بعض الأمراض الموت فذلك - والموت محتوم - خير من اختطافه خطفة واحدة على حين غرة ، ولوقوع موت الفجأة في بعض

الاحيان نعرف فضل المرض الذي به يتمكن المرء من وضع بعض الوصايا
ومن التهيؤ لاستقبال الأبدية بنفس مطهرة بالندم على بعض الزلات ،
وبه يتمكن أهله من حسن توديعه فيزودون نفسه بأثنى شئ عند النفس
وهو شذى لاخلاص ، ويتزودون من مرآة برؤية أعلى شئ وهو إياه
الحبيب ان يفارق أحباءه ، فهو والحالة هذه ينشداهم بلسان الحال :

ولو نُعْطِيَ الخِيارَ لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الزمانِ
وهم ينشدونه :

إذا تَرَحَّلْتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم
ويشكون مغلبوا الشر من الجبل ، ولو فقهوا لدروا أن ليس كل جهل
يُعدُّ شراً ، فانه لو أصبح كل الناس فلاسفة لحلّ بالدوران البشري ما يحلّ
به إذا أصبحوا كلهم أغنياء . على ان من يعمن النظر كثيراً يجد في غباوة
كثير من البشر فائدة ليست بأقلّ من الفائدة الّتي يجدها في ذكاء
بعض الافراد ، وحسبك من فوائد الغباوة لأصحابها أنهم أقلّ تضرراً
وامتعاضاً ، فهم لا يذوقون الآلام الّتي يذوقها النباه من مشاهدتهم عيوب
مجتمعهم وتقصيره عن غيره مثلاً . وحسبك من فوائد تلك الغباوة للمجتمع
أن أصحابها لهم مما يدورون حوله من رحي الاعمال الّتي عرفوها شغل
شاغل عن احداث الفن والمشاعبات الّتي توجع الرأس أحياناً على قلة
نفع . وتلك الاعمال الّتي أشرنا اليها قلّ ان يصبر عليها سواهم مع انها
قد تكون مما تشدّ اليها حاجة الجمهور

وبعد فأيّ شئ ينقمون مما يسمونه الشرور ، وهي إمّا من اللاتي

تعمُ فيها ذاك العموم ، وأما من اللاتي يقلُّ وقوعها ، فتتمرُّ وتنقلب الى خيرٍ أحياناً . تأملُ . هما تعاضم مُصابُ أهل بيت بمتهم ، تجذُّ كلَّ واحدٍ يستطيع أن يهجم على نيران حزنهم برشةٍ من التسلية التي يدور محورها على كون هذا الموت أمراً محتوماً ، وشيئاً طبيعياً ، وأنه سبيل الأحياء أجمعين ، وأنه ما من أهل بيت إلا وقد أصيبوا بمثل هذا على أن القوائد التي يعرفها العقلاء في الموت يمنهم عن إدخاله في زمرة ما يسمى الشرور

ينظرون الى الحاضر ولا يتفكرون في العواقب ، فتعظم بمثل هذا شكواهم ، تأملُ كم من فقير قد آلمه فقره ، فساقه حثيثاً الى السعي والاكتساب ، فلم يلبث غير قليل حتى ذاق لذّة الغنى . فهل كان فقره السابق شرّاً أم كان باعثاً لتحصيل لذّة الغنى المكتسب التي تفوق لذّة الغنى الموروث ... وتأملُ كم من مريضٍ أزعجه المرضُ وأخافه ، فتذكرَ ما كان أهمله في الصحة ، فلما أتبح له عناق العافية هبَّ نشيطاً للأخذ بما كان قد أهمله ؛ فهل كان مرضه شرّاً ، أم كان باعثاً لتحصيل لذّة عمل الواجب بعد اهماله ، ومولداً للذة عناق العافية بعد الصدود ... وتأملُ كم من عاجزٍ قد أقعده عجزه عن كثير مما يأتيه أولو الأشر والبطر ، فأحدث له ذلك صيتاً حسناً ، وآتاه حسنُ الصيت قوةً أصبح قادراً بها على نيل بعض ما كان محروماً منه ؛ فهل كان عجزه شرّاً أم كان موجداً للذاته من حسن الصيت ثم القوة ثم الفوز ... لعمرك ليس الشرُّ أن لا تكون الآن قوياً ، فانك قد تقوى وتجد لذّة عظيمة ؛ وكم من ضعيف

قوي ، وإنما الشر أن تكون قوياً فتفقد هذه القوة . وكـم من قوي قد
 ضعف ، فـما كثرة الضعفاء المتيدين أن يقووا سوى كثرة أبواب الأمل
 الذي هو روح الحياة وباعث النشاط ، والخير كل الخير في هذا ، وما قلة
 الأقوياء المعترضين لفقد القوة سوى قلة أبواب الوجـل الذي هو باعث
 النـغم والانتـبـاض ، والشر كل الشر في هذا . فسبحان من هذا نظامه وأثر
 حكمته ورأفته ، والله رؤف بالعباد

ويقول المتوسطون : ان أعجب ما في الخيرات والشرور أنك تراها
 متقابلة كـفريقين من العسكر قد وقف أمام كل صف آخر مثله في
 الجانب المقابل كأنما قد وُكل اليها أن لا يأنـلـو كل فريق منها جهده في
 حفظ القلعة التي هو قائم عليها . بيد ان الجيوش التي نعهدـها لا تلبث
 ساعة أو بعض ساعة من الدهر ، حتى يقرع أحدها الآخر ويفلّه ، وأما
 جيشا المـنـن والمـحـن فانهما ما برحا متوافقين منذ أولية هذا النوع ، ولعلمهما
 سيظلان مكانهما ما دار بنا المدار ، ولكن من سير الانسان نحو التـكـمـل
 نفقه أن ثمة رجحاناً لجانب الخير على جانب الشر إلا انه رجحان خفيف
 جداً جداً اذ لولا ذلك لما كان الخطو الى التـكـمـل بطيئاً بهذه الدرجة

كل هذا قاله المفكرون . وقد أكثر مغلبو الشر من ترداد شواهدهم
 والتغني بفلسفتهم ، كأنهم وجدوا المجال واسعاً ، والنغم مؤثراً ، اذ لا أوقع
 في نفس المفجعين من اظهار التألم مثلهم ، وذم الدنيا التي هي مـثـار لجائـنهم ،
 ومدار محنهم ، وكثير من أهل هذا الرأي كانوا شعراء قد ضاقت عليهم
 مذاهب المعاش ، فأشبعوا دنياهم ذمّاً وهجواً وملأوا الأسفار بوصف

شروورها من مثل قول حريريه :

أيُّك والدينيا الدنيَّة لِنها شركُ الردي وقرارة الا كدارِ
دار اذا ما أضحك في يومها أبكت غداً تَبَّأَ لها من دارِ
أما مغابو الشر فلم نرَ لفلسفتهم كثيراً من الشروح الضافية ، ونما
وفننا على قليل منها في أخبار وآراء بعض الصوفية والفلاسفة . وقد رأينا
بعضهم لا يكتفي بتغليب الخير ، بل يذهب الى أنه لا شرَّ على الإطلاق ،
وأن الكون كله خيرٌ محضٌ من خيرٍ محض

وما اختلاف المفكرين والفلاسفة وأصحاب الأديان بتعريف الخير
والشرِّ ، وتعيين أنواع كل واحد منهما بأقلَّ من اختلافهم في الموازنة
بينهما . كلاً ، بل هو أكثر بكثير . واذا ما نحن استطعنا أن نُرجع الى
ثلاثةٍ عددَ مذاهب المختلفين في الموازنة فاننا لا نستطيع ان نُرجع الى
عدد معينٍ مذاهبَ المختلفين في التعريف وتعيين الأنواع . ولا يدري
مقدار عذر هؤلاء في استلافهم هذا الأَمَن جال نظره طويلاً في ميادين
الطبيعة البشرية وسبر كثيراً أحوال الافراد والجماعات ، وتأمل ملياً فيما
يقعُ فيه الحسُّ والعقل من الأغلاط ، وعرف جيداً ما للعادات والتقاليد
من النفوذ والتأثير ، وما لها من المنافع والمضارِّ ، فرجل أوتي هذا النصيب
العظيم من الخبرة يعرف أنه ليس من البديهي معرفة ما هو الخير ، وما
هو الشرِّ . فلا يهزأ حينئذٍ بكثرة اختلاف المختلفين فيهما من أهل
الآراء والفلسفات ، ولا يتهم على أقوام رأوا الخير كل الخير في تعذيب
الفساد وحرمانها من الشهوات الحيوانية ، ولا على آخرين ضادوهم كل

المضادة فرأوا أن الخير كل الخير في اللذات واثالة النفس كل ما تشتهيه .
وكذلك لا يعجب من قد وصفنا حظه من الاطلاع لأقوام يكون ،
نكترة ما يضحك الناس ، وآخرين يضحكون من كثرة ما يكون ،
فسبحان من خلق بين هؤلاء البشر جذور الائتلاف والاختلاف ،
وجعل هذا التباين في الأفكار ، آية خالدة فاضيةً بمزيد التبصر والاعتبار
عبد الحميد الزهراوى



الحب

« بين شوقي وولي الدين »

ترأت له على مستشرف حجرتها صبحاً ، حين لم يلق عن اعطافه
ثياب الكرى ، والصبح كبسمة الرضى على الثغر الالى ، والروض
كالأمل الغض في الفؤاد الفتى . فلما اعتدلت في نظره جانست محاسنها
محاسن الوجود ؛ فترامى اللحظان ، وتناجى القلبان ، وطارت رسائل
الوجد بين الروحين على أجنحة الزفرات تبعث حنيناً وأنيباً وهياماً
شديداً ؛ فذلك حيث يقول شاعر الشرق شوقي بك :

نظرة

ثم توالى كرور الاصباح ، وكما تكبر الاجساد تكبر الارواح ،
وكما تكبر الارواح تكبر الصبايات ؛ واللواعج ثمار تسقى مغارسها بالدموع ،
والشباب خصب تنضج به اللواعج ، ونسائم السحر تغري الاشواق ،

ووجهه الربيع يزيد الجرأة على الفتنة . واذ طال تعارض الوجهين ، وتقابل
النظرين ، جاءت طمأنينة تمسك الروح ساعة اضطرابها ، فتألق لها على
الشفقين بارق افتقر عن مثل الدر المنظم ؛ فذلك حيث يقول شاعر الجمال :

... فانبساط

ثم استمر الغرام ، وتراضى القلبان ، واذن كل لصاحبه بما اذن .
فكانت حاجة الى الاعلان ، فارتفعت يمين كورقة الآس ، أمرت على
جبين كنفس الطفل ، واذا في الوجهة المقابلة رأس ينخفض اجلالاً
وخشوعاً وكذلك يضرع المطيع للمطاع ؛ فذلك حيث يقول شاعر الخيال :

... فسلم

ثم نما الهوى وارباه التراضي ، فاشتاق الاذان الى مثل حظ
الاعين ، ولا بد لما يسر من الاعلان ؛ فتساجل الشكاية صريعاها ،
وقام اللسانان سفيرين عن القلبين . هنالك حلاوة تمازجها المرارة ،
وراحة يتخللها التعب ، وللوجد بيان لا تركبه الفاظ ، ولا تؤديه عبارة .
فهما فاض ماء النفس من الثغرين المتباعدين ؛ فذلك حيث يقول
شاعر البيان :

... فكم

ثم تعارضت في الروحين قوتان من السلب والايجاب ، وقعت
شرارتهما على الحس فاضطرم . غير ان الحكمة اطفأت ذاك الأوار ،
والصبر في اوائل الصباية يغلب عليها ، فتعالج الحبان بالاماني وما زالا
بتواصيان بالرأي حتى غلبا عليه ، فاستشار الشوق كمين النفسين ، فاتفقتا

على التداني ؛ فذلك حيث يقول شاعر الحب :

... فمروءة ...

فأما بلغ الأمرُ أقاصيه ، وعصفت شرّة الشباب بالراي والجلد
فاستطارتها ، نربب الشبان على سلاسل الأسر فتساقط حلقاهما
في صلصلة تصمم الآذان ، وانطاق سهيل يطالب الثريا ، وضمّ الروحين
عناق هو خاتمة السعادة والشقاء .

لله انت يا شوقي بك ؟ اذ تقول :

نظرة فأبتسامه فسلام فكلام فوعده فلقاء

هذه رواية الغرام في بيت واحد ، لو نطق به الدهر لناهت به

صروفه . وليّ الدبر بك



الزهر

رأيت صباح اليوم أزهار الربيع على أكمل ما تكون ، إيماءً في أكلامها ،
وآثار الصحة بادية عليها ؛ وأما زاهية قد مزقت أكلامها وأسفرت من حجابها
بين بين . لا هنّ نواشر خالعات العذار ، ولا هنّ متخذات ستوراً من
الأكلام والافنان . أسفرن فكلمن قرّة للعين ولذة للشم ومبعث لحركات
المواطن . لا أعرف عن طريق اليقين الوجه في جمال هذه الزهور ولكنها
في الواقع جميلة . كذلك لا أعرف الصلة الخفية بين رؤية الأزهار وشمها وبين
آيات الحب . جلّت حكمة الله أن تتناولها عقولنا . ولكن الاستقراء دلّ

على أن هذا النوع الأنساني منذ نشأ الى اليوم يتعشق الزهر ، ولا يطيب له مجلس هو الا اذا كان للزهر فيه المقام الاول منشوراً ومنظوماً صحباً أو اشتاتاً . بل كلنا يود أن يكون له بستان فيه زهر . ومن لم يجد هرع وقت فراغه الى الحدائق العمومية . ومن لم يجد من الفلاحين أعجبه كثيراً أن يقيم وقت أنسه على قرب من زهر الفول . ومن لم يجد اتخذ له صورة بستان أو خيال بستان من الزهر في آنية الفخار يضع فيها القرنفل والورد في شبايك داره . بل أصبح من القضايا البديهيّة أن الدلالة الوضعيّة على رقي أمة عنايتها بالزهر واستمتاعها به . وما هذا الاستقرار التام الا جاعل نسباً ثابتاً بين الزهر والانسان ومسارح العواطف وحركات القلوب . لقد يسمج التعليل المنطقي في موضوع كهذا خفيف بطبعه لا يحتمل ثقل المنطق ورصانة الدليل . ولكنني أستأذن القارئ ان أستدل بهذا الاستقرار على أن الزهر من دواعي التقريب بين القلوب ، ومن عوامل الائتلاف بين الجنسين . وقد كان دائماً مفتاحاً تستفتح به هدايا الوداد . بل اتخذت ألوانه المتنوعة وأنواعه المتعددة علامات على المشاعر المختلفة التي لها علاقة بذلك المعنى المعروف بآثاره المجهول بكنهه وهو الحب

واذا كان الزهر من دواعي الحب ، وكان الحب داعية حفظ النوع ، وكان الربيع خير الفصول في وفرة زهره وجماله ، فهل يستطيع الامل بان هذا الربيع يدعو اللواتي المماطلين من أبناثنا وبناتنا الى فك « الاعتصاب » الذي لزمهم أو لزموه هذه السنين الاخيرة عن اكبر واجب حيوي ؟ فينزل

كل منهم عن المثل الأعلى في خياله الى مادونه من الأمثلة . ولا يتشدّد في التمسك بالاعتبارات الاضافية ككفر الزوج أو مركز أبيها في الحكومة الخ وأن يتساهلوا بمض الشيء ولو في بعض الشروط المعقولة عندهم غير المقبولة عندنا نحن الآباء لا بحجة العقل ولا الدين ولكن بحكم العادة الطويلة . هل يستطيع الأمل بأن هؤلاء المماثلين المعتصمين يخففون عنا كابوس الخوف من قلة النسل في الفرقة المتعامة من الطبقة الوسطى ؟ انهم لو ذاقوا تلك السعادة الزوجية ، وشماهم سلام العيشة العائلية ، وشمروا بلذة عواطف الابوة لما احتاجوا الى الحافز في المسئلة ، ولندموا على ما ضيعوا من ربيع الحياة .



﴿ أقوال مأثورة ﴾

• قال تمان لابنه : لا يكوننَّ الديك أكيس منك يتادي وقت السحر وأنت نائم

• عَابِ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَارْجُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ

٥٠ قيل حكيم : أي المتعرك أفضل : ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال :
ملك غضبه وشهوته فهو أفضل

ما رأيت أحداً الا ظننته خيراً مني ، لأنني من نفسي على يقين ومنه على
(العالمى)

• لا تفرح بالفنى والرخاء ، ولا تنغم بالفقر والبلاء ؛ فانَّ الذهب يجربُّ بالدار
والمؤمن يجربُّ بالبلاء (الامام على)



في رياض الشعر

ذكرت الهوى

ذكرتُ الهوى أيامَ يصفو فنحتسي
 تقضي مُنا من رياض وأوجه
 لذاذاتُ عيشٍ صالحٍ كنَّ أنعمًا
 طويلاً بقاياها ففاضت من الأسى
 خات أربع الأهواء الآ من البلى
 نعوذتُ عنها بالياً بعد مؤنق
 ألا هل لأيامٍ الشبية رجعة
 نمتتُ من دهري بظبي مرتب
 أقول لنفسي والأسى يستثيرها
 ألم تعلني أن الزمان بأهله
 متى تطلبي ما ليس للدهر شيمة
 أجرك هل تقضين كلَّ بُبانه
 إذا الحاج لم تُقدَر فليس بنافع
 صرفتُ رجائي عن مطالب جنة
 وعنتُ الدنيا فاحتفظتُ بمنصبي
 سجية حرّ النفس لا متعرض
 كريم متى ما يُعد كفيه منفس
 وما فاتني غمّ إذا عفّ مطعمي
 ويضفو الصبي عن جانبهِ فنكتسي
 ونشفي صدانا من شفاء وأكوس
 فأعقب من حدثانٍ دهرٍ بأبوس
 بقايا قلوبٍ جازعاتٍ وأنفس
 يعني بها آثارَ ملهى ومجلس
 وبُذلتُ منها موحشاً بعد مؤنس
 فأطعم في رياضٍ من العيش مؤنس
 فقد عاد يرميني بسيلٍ عمّس
 مكانك ان النفس بالنفس تأتسي
 يدورُ وأن الصفو نغبة محتس
 تُعاقب عن الأمر المروم وتُحبسي
 بطول التمني أو بطول التلّس
 تقحمُ لأصليت وإقدامُ مدّس
 وليس الذي يرجو المحال بكيس
 وأبقيتُ عرضي طاهراً لم يدنس
 لعوراءٍ يبغيها ولا متمرس
 يدلُّ بأغلى منه قدراً وأنفس
 وغرّي من سوء الأحاديثِ ملبسي

اذا ضرس اللؤم الوجوه فشانها
 وما راعني الا حسود يعيني
 لقد عجمتني الحادثات فلم يلن
 خوض الخطوب السود غير منكب
 واسمو الى العاني افرج همة
 ولم تخزني في مشهد المعني
 ولست كساع بالابطال والرق
 متى ما اقل قولاً فلت بكاذب
 تعود مني الدهر شيمة فاضل
 كلانا على ما آسن جار ومن يقذ
 واعلم اني ما حيث مقلب
 بقيت ووجهي وافر لم يضرس
 على ما يرى من طيب عودي ومغربي
 مجسني على بؤس الحياق وملسي
 والقي المنايا الحر غير معس
 اذا ما عنته كربة لم تنفس
 ولا خائني رأبي وصدق تفرسي
 الى الناس يزيحها بضاعة مفلس
 اصادي به نفعاً ولا بمدلس
 وما اعتدت منه غير شيمة مومس
 الى الشيمة العمراء يعص ويشمس
 فؤادي وعيني في ضياء وحنس

محمد محرم

﴿ فؤاد » حافظ ﴾

يا خفقا قل لي متى تسكن
 ياليت شعري عنك في اضلي
 وما الذي ابقاه من مهجتي
 يا نغرة من ذا الذي يحسني
 يا قدّه هذي قلوب الوري
 يا لحظة مرنا بما نشتهي
 لله ما تخفي وما تعلم
 ماذا تقاسي ايها المتخن
 ومن حياتي داؤك المزمّن
 برد ثنايك ولا بؤمن
 معروضة طوبى لمن تلعن
 كل محال في الهوى ممكن

حافظ ابراهيم

* زهرة ورد *

أُمتُ الحديقةَ عند السحرِ أشمُ نسيمَ الصَّبَا والزهرِ
وقد نشرَ الفجرُ أسلاكه فدبَّ بجفنِ الثيامِ الشرزِ
وأنشدتِ الطيرُ آيَ الصباحِ فأيقظتِ الزهرَ مثلَ البشرِ
ومرَّ النسيمُ يقطي الرُّبى فبشَّ بهِ كلَّ ثغرٍ عطرِ
وكانتِ إلى جانبي زهرة بثوبِ الكرى والندى المنهمرِ
فأيقظتها وهي في كَيْها ككبرٍ يبردُ الحيا تستنزِ
فهبَّتْ، وفي جفنها فترة وفي خدِّها حرَّةٌ، تعتذِرُ
وفي شفَتَيْها الندى مالِكٌ عليها الكلامُ كثغرٍ حصرِ
فمالتِ إليَّ كأني بها تسألُ عنِ حالتي والخبرِ
فقلتُ: أراكِ بأسرِ الكرى كأنكِ مفرمةٌ بالسَّمرِ
فهل أنتِ مثلي مفتونةٌ بما في الطبيعة يسبي البصرِ
فقلتُ: وقد طار عنها الندى، أيعذلُ صبُّ يُطيل السهرِ
فما أنتِ منَّا بأسمى شعوراً وليس الهوى فيكمُ محتكرُ
فقلتُ: وأنتِ لملكِ قلبٍ خفوقٌ بنارِ الجوى يستعرُ
نشدتكِ لا تدَّعي بالفرامِ ففاهيمُ أسرارِهِ قد نذرُ
يضمنون في حبهم بالقشورِ ولبُّ الهوى عنهمُ مستنزِ
وهل يتمشى الهوى في النباتِ وبعضِ قلوبِ الورى كاللحجرِ
فقلتُ: أما زنتِ صدر حبيبِ فوأكِ في باقيةِ كالزهرِ
أنا زهرةُ الوردِ رمزُ الفرارِ حياةِ النفوسِ وروحِ الفكرِ
عشتُ الطبيعة روحَ الجمالِ وحيَّ في شميمِها والقمرِ

تبث الحياة بهذا الوجود فقرأ آياتها في الصور
وأما الغرام فلا ندعي وليس لها منطق لهاذر
وانا عينا من الحكماء بأن السكوت وعاء الدرر
فنحن سكوت وفي صمتنا لننطق في معجزات السور

❖ ❖

واذا جاء دوري برد الجواب أتت هند في الموعد المنتظر
فعرقت بينهما ناشراً إحيى حديث شذاه انتشر
وحكمتهما ينتسا بالرضى فقالت وقد بادتني النظر
هي الجاذبية بين النفوس تدس الغرام بسلك البصر
هي الجاذبية بين العناصر إن تعد منظوما ينتثر
وفي عالم الزهر تمشي الحياة وما من شعور لها أو وطر
فقلت : واني لها مثلنا شعور تغذيه منذ الصغر
عشتك ما فتتني العيون ولا تفرك الممتلي بالدرر
ولكن بنفسك لي جاذب هو الكهرله فأين المفر
هو الحب بحيا بروح الجمال ولا تستيه الحلى والجير
وانت الجمال فمن عاذري اذا لم اكن فيه ممن شعر
نخودي على شاعر بهواك بأي السنى حلية للفكر
فما الشعر دونك مهما علا بأكثر من طلل مندثر

❖ ❖

وذى زهرة الورد رمز الهوى أرفأ الى صدرك المزدهر
فكلت تلفت بي شاكراً وبشأ بصاحبه وافخر
وجاء الضحى نائراً عقدنا الى الملتقى في رياض السحر
(لبنان) احمد تقى الدببة

﴿ اذا ذهب الربيع ... ﴾

أطأتِ تدللاً وأطلتُ صبراً كلانا باذلٌ ما يستطيعُ
 لقد أودعتِ قلبك ما بقلبي فضاغَ وكنتُ أحسبُ لا يضعُ
 رددتِ تضرُّعي ورددتِ دمي فليس يُجابُ عندك لي شفيعُ
 فيا وبلاه من قلبٍ عصي يذوبُ بحبه قلبٌ مطيعُ
 وباه لفي على أملٍ مباح يدافع دونه يأسٌ منعُ
 وباه حزني على هذه الاغاني أرددُها وليس لها سميعُ

* *

أسيدتي الرفيعة إنَّ روعي يقربها اليك هوى رفيعُ
 وأبام الصفاء وإن توانت يُطارِدُ ركبها نأيٌ سريعُ
 اذا ذهب الربيعُ ولم أمتعُ بنضرتِه فلا عاد الربيعُ
 ولي الدمنة بكس

﴿ شاعر يسلمو ﴾

من مبلغ الغيد عني قصةً عجباً تبكي وتضحك منها الغيد في حين
 اني سلوتُ فلا هجر فيهدمني به الغرام ولا وصل فينييني
 فلتلبس الغيد من نسج الضحى حُللاً ولتعلم اليوم اني غير مفتون
 وليمتع النفس غيري في خائلها وليقطف الورد من تلك البساتين
 ولهم نصيرها أفانيناً مُهدلةً وليجن رمان هاتيك الأفانين
 تلك الغصونُ وكم لويتها يدي وبتُ احصي جناها بالموازين
 حين المحبة تحت الكرم تُرضعنا والسحب تُرضعُ أولاد الرياحين

عبد الحليم المصري

الانشاء المترهل

نرم الدكتور شميل يطبع كتابه « حوادث وخواطر » وأتيح لنا ان نقف على مقدمته
فتتطعن منها الكلمة الآتية في انتقاد هذا النوع من الانشاء الذي ضاع فيه فريق من كتاب
العصر قال :

عنيتُ في الصيف الماضي (١٩١٢) بتقيد بعض حوادث مما مرَّ عليّ ،
وتعليق بعض خواطر مما بمنّ لي ، عساي ان أجد فيها ما أشغل به أوقات الفراغ .
وأفترج كُرْب العزلة . حتى اذا كاد الصيفُ ينقضيُ نشبت الحرب البلقانية ، فوقفتُ
في تلك حث وفت ، وعلّقت على هذه ما علّقت . - ثم ضمنتُ الى ذلك بعض
ما تيسر لي العثور عليه من مطويٍّ لم يُنشر ، ومنشورٍ مبعثر . وجمعتُ الكل في
هذا الكتاب ، فجاء « من كل حرش عصا » او - من كل نبتة زهرة - على
ذوق القاري . وسمّيته « حوادث وخواطر »

حوادث هي بعض مذكراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعزال . ان
لم تتسع للرواية فقد نستوقف بدقة التحليل ؛ وان أقفرت من القديم المأنوس فقد
يكون فيها شيء من الجديد الطلي ؛ وان كثرت فيها الجدُّ فقد لا تخلو من
الفكاهة ؛ وان كثرت فيها المملقات الخصوصية فلم أهمل من خلالها المرابي
العمومية . - حوادث لم أنقلها عن يومية مدوّن فيها كلُّ ما كان يعرض لي كما يفعل
البعض ، ولا سيما الافرنج في مذكراتهم ، ولكنني اعتمدتُ فيها على ذاكرة قلما
تخونني في الوقائع ، وان كانت تتمتع كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض أفكارني أُطاقها تجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى أعماق
نفسي ، وتنطق عن نظري الخاص ولو خالفت أحكامي أحكام سواي . وان لم
أدع لها العصمة فاني أربأ بها ان تميل مع الهوى ولو لقيت ما لقيت من عواصف

العواطف الغالبة حتى الساعة على أفعال سائر الناس ، والتمكنة فينا أكثر من سوانا على نوع خاص

حوادث وخواطر سردها سرداً كما جاءت غير متبع فيها نهجاً مخصوصاً . ولم أنعمَل فيها غالباً لثلاث يجمع بي جواد المبنى فيخرجني عن جادة المعنى . فهجرت الوحشي الفحلي ، ولم أقع في الحضري المترهل ، وتقرّبت كثيراً من العامة ، عسى ان تكون البلاغة في ما كان أدنى الى تبليغ المراد

قلت الحضري المترهل لأنني أرى اليوم ميلاً كبيراً للتباري في نهج من الانشاء إن أجاد فيه البعض فقد قلّ فيه الفلاحون . وان حلا في بعض المواقف فمن المصاب ما يُعني . يترقق فيه اللفظ حتى لا يكاد يفشى السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمر دموع الملائكة ، ويثير أشجان القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمه اذا تقصّاه الى لبه . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مرثي أرميا ، ولا هو مصابرة أيوب ، حتى ولا هو تسبيح داود على قيثارته . أو هو خليط منها يتألاً ولكن كالبرق الخلب . ولا يبقى من جيده في الذهن الا أثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئه الا أثر الكابوس في الحالم . وشأنه في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حلية للتنافس ، ولا هو الفحم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فحم مبعور . — كأننا لم نهجر التقعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكر مقتولة على مذبح هيكل العواطف الشائرة او الذابلة . — ولكم عرض لي وأنا أسمع هذا الشعر الجديد المشور ، ان تذبل عياني ، وتبدلي يداي ، وينهادي ذراعي ، كأنهما جناحان هبّا بي للتصفيق ولكنهما هبّا متكسرين كأنني بهما الطير الواقع . — وما الناس بحاجة الى هذا التنويم الخدر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمر قلت اني تقرّبت كثيراً من العامة ، ولا أريد بذلك اني تنزّلت اليهم ، بل اريد اني نمحديت الأسلوب الذي يفتح للجميع على حد سواء ، بدون أن يضطرّ فيه الى عمل يوجبه التأنيق في الانشاء ، كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يستعمل

فهم القارئ حيث يجب ان يُستحث ، ونحن ان لم نكن في عصر بالقياس البنا فالى عصر بالقياس الى سوانا الوقت فيه ثمين ، عسانا أن لا نبقي مقيدين في الأغلال على الأجيال . واستعملت كثيراً من الفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد ، والتي ان وجد بعد الغناء في معجم لغة ما يقوم مقامها ، فقد يعزُّ حق على الأديب مغزاه حتى يتقصاه في مكانه ، والمقصود من الكتابه ليس الإغلاق . كما اني أثبت كثيراً من كتابهم البخاري بجري المثل ، لأن الأمثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم ومجري أفكارهم في كل أطوارهم . ونهجت نهج الأمم الراقية من متقدمين ومتأخرين ، ونهجت العرب أنفسهم في إبان حضارتهم في مستحدثات الصناعة ومستنبطات العلم ، فلم التحول عن مسمياتها في لغاتها ، إلا حيث أمنت اللبس ولم أخش التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل يوم تدفق السيل ، حتى صار التحول عنه الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المألوس المدرك الى الوحشي المغلق ، متبعاً في كل ذلك سنة التحول التي تناول كل شيء في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون من جودهم مهما جمدوا

حوادث وخواطر لم أدار فيها ولم أحاب ، وان أغضب ذلك النفوس التي لم تألف الا المدهدة . واذا كنت أكثر فيها من الانتقاد أطلقه على ما حولي وأتناول به حتى نفسي فلأن الانتقاد يبعث على التفكير . عسى ان يغلب علينا ما لا نحب مما يُحمد « فنحس بفكرنا » لا اننا « نفتكر دائماً بشعورنا » وقلما تنجح أعمال العقل اذا غلبه العواطف

ولا أخشى حملات العقلاء ، فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاضفاء الى كل نظر واجب . - وأدفع حملات سواهم متسنصراً عليهم أبناءهم من أصلاهم فهم الذين يثارون منهم . يثارون الافراد المجني عليهم والمجتمع الذي يسئون اليه . وسرعان ما يكون هذا الاثار اليوم

الدكتور سميل

نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، و بيانها الخالد ، بها تنهض ، ونسوء ، وتناهي الدهر ، وبها تستقر ؛ ولكم من أمة كفل لها بيان لغتها بعثا بعد أن طوى جهل حكامها صحينة وجودها ؛ وفي بعث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والرومي خير دليل وبرهان ، فائن هب علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم انما أرادوا باحيائها احياء لغة اليونان . فقد ضمنت اقلام كتيبة آئينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفوهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كبروه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة

للغات كالأمم أدوار عزّة وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولها ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقيتها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن وبرلين . فكانت تقصّ أروقة حلقات الدرس في مدنها - وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر - بثات الطلاب القادمين اليها اجتاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلاب الشرق ، ولم أر أمة شذت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيق في شرحها وتعليلها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرق الأمم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها ماثات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند اسوار فينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدرجها ضخامة الى أن ضعفت فأضمحلّت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلّت

الأمم التي تقدمتها بفعل هذه النوااميس نفسها . ولقد بلغت الأمة التركية هذا المبلغ من الترقى والنهوض ، ولغتها في الحضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكانت تلك الحروب والفتوحات جرفت الأمة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد أن الأمة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرض مقاتل أفرادها الى الهلاك الا على قدر وما كان الموتى الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابتلاء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام ووقفوا أجسامهم على خدمة الحرب ، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خفقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضمها على أعناق الدهر خالدة خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وستجيء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك : فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبرز بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابائنا الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنبو برغم الحوائل التي حالت دون نموها في الثلاثين سنة التي مرت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جل مؤلفات كتاب الغرب وعلمائهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدتهم على ذلك وجود حكومة لهم منهم تمدم بعضهم ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلات مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أخرج أدوار حياتها تنتقل من انكسار الى انكسار ، ولعل السبب في إقبالهم على النهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائد

لا لذاتها، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالملك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء الملك ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاسنانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليه منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرَّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم

وقد رأى ادبائه الترك ان لا مفرَّ لهم من انشاء نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيه باليجاد الالفاظ ونحت المعاني وبعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليه اسم (خبر . آني) لم يخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجدين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرَّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتاب اللغتين العربية والتركية في هذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزرَ مادة ، وأصحَّ سنداً ، وأقوى بياناً

ليس من ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، إلا ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفة من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مقتود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه به وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ به السلف الصالح . فني مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط دريها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المتال . وفي نظارة المعارف

رجل كحشمت باشا دلت سوابق أباديه على اللغة العربية على ان يديه لا تنكشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انتاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسن لها نظام يربط أبناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بفرقة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنينا الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبية دليلاً على حياة الأمة العربية في تنظيمها وتسييرها في سبيلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء . (مصر) ابراهيم سليم نجار



عهد الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليك مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنه كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . توذنين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لك احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبن ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير متظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لك ، لانك لن تحزريه . وليس ذلك لأنه لا يحدث مثله كل يوم وكل ساعة بل لأنه كان عندنا غير محتمل الوقوع أقول لك بلا تطويل في المقدمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراك وانتِ تترددين في تصديق هذا النبأ ، بل ان اري دهشتك وقد تحققت صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الانذهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا

الحادث عنك الى حين اللقاء . نعم ان أمينة نسيت او تناست ذلك الحب الشريف
الشديد المتبادل الذي كان يربط روحينا برابط كنت اظن أن ما من قوة في الوجود
تقدر على قطعه حتى ولا الموت . فهل تصدقين هذا النبا

أنت صديقتها الحبيبة ومستودع سر فؤادها . أنت التي طالما رأت الوجد يسيل
من مآقيها العبرات ، وطالما سمعت الهوى يصعد من صدرها الزفرات ، وطالما رنت
في آذانك أقسامها المغلظة بأن « اتوس » هو حبيبها الوحيد الدائم ، وانها انما بحبه
نحيا . أنت التي تعرفين كل ذلك . هل تصدقين اني صرت لديها كغريب ،
كأن لم يكن شيء مما كان .

نعم هكذا حصل . والأدهى انها لا تريد ان تقدم سبباً لهذه المقاطعة سوى
« ان هذا الحب لا حاجة اليه ولا فائدة منه »

لکم قلت لها - وأرجوك عذراً وصفحاً - ان قلوب النساء متقلبة ، وانها بقدر
نسرعتها في الميل تتسرع في الانحراف ؛ فكانت تقول لي « لست من تلك النساء .
ان حبي لك هو دمي الذي يجري في عروقي ؛ خياني هي البرهان على دوام
وجوده » . وها هي الآن نحيا وتزداد يوماً عن يوم عافية ونضارة

يقولون ان جسم الانسان مجموع مؤلف من خلايا حيوية صغيرة جداً دائمة
الفناء والتجدد . فهل تظنين ان هذا الناموس الطبيعي - أي الفناء والتجدد - يغير
هوية الشخص فيصير اليوم غير ما كان منذ سبع سنين

ان اميال النفس المختلفة - وسيدها الحب - لا توجد في الانسان عفواً ، بل
لا بد لها من سبب . ولا أنكر ان هذه الأميال تتغير أو تضمحل ، ولكنها
كما وجدت بسبب ، فزوالها يجب ان يكون لسبب ايضاً ، وبقدر ما يكون الميل شديداً ،
يكون سببه عظيماً . فزوال هذا الميل الشديد يقتضي ان يكون سببه عظيماً ايضاً .

فهل نستطيع ان نستخرجي لي من أعماق صدرها سبب هذا الانقلاب العظيم

انت تعرفين تاريخ حبنا كله وتقديره قدره من الاعتبار لأنه حبٌ روحي كنا بكل جرأة نباهي به ونفاخر . ولكني لا أعلم اذا كنت تعرفين كيف نبت هذا الحب ، وما ، فاعلمي يا أنيسة انني أنا الذي كنت ضحية هذا الحب بلا ذنب كنت يوماً أنتزه مع نسيبة لي ، فالتقينا اتفاقاً بأمانة تنزه مع قريب لها ، وكان بيني وبين قريبها تعارف سابق ، وبينها وبين نسيبتى مثله ، فبادلنا التحيات واجتمعنا تحدثت في شئون مختلفة ، فما انتهت جلستنا حتى شعرت بأني نزلت من فؤاد امانة منزلاً حسناً . ثم تلاقينا فمدت الي يد التودد ، فمدت لها يد الترحاب ، وكل منا يعجب بسجايي الآخر ، وهكذا نما الحب واشتد وتمكن مني

لم أتعشها من نظرة كما يقولون ، ولا سميت في جذب قلبها نحوني بالنصي ، وهي خالية الذهن مني ، ولا سبقتها بيث الحب . بل لظالما عملتُ على اطفاء ما كان يتقد في نفسها من الشغف بي اتقاء لمبادلها هذا الوجد خشية ان تقلب عليّ يوماً ، ويكون ولعي بها قد أزم ، فلا يبقى الى الشفاء سبيل فاشقى وتسعد ، وأتألم ولا تبالي ؛ ولكنها كانت قادرة ، فتمتحت دمي بمكروب هواها ، وتركتني هازئة ، ولسان حالها يقول : اشف ان قدرت

هل أقول ان مظاهرها تلك كانت تفتناً في اختلاب الأبواب واستهواء العقول . انك لا توافقيني على هذا القول ، وأنا لا أجسر على الجزم به . انك تعرفين منها أن حبها كان حقيقياً كحقيقة وجودها ، ولكن بمكنني الآن ان اكرر قولي لك - ولو ساء لك - اكرره ولا أقبل فيه جدالاً ، ولا بضده اقتناعاً ان قلب المرأة سريع الميل سريع الانحراف . ان حب المرأة فجائي الحدوث فجائي الزوال ولعلها في هذا الخلق أسمعده حظاً من الرجل ، فلا تأسف على هباء ضاع ولا تذكر حباً كان ، في حين ان ثبات الرجل في حب لا أمل له فيه ولا عزاء ، انما هو كل الشقاء ان الراويات الموضوعية التي تمثل وفاء المرأة وخيانة الرجل في الحب ، انما هي

نخيلات يُقصد بها التأثير على طبع المرأة الفطري لجعلها وفية ولو خافها الرجل ،
ولكن عبثاً يتعب هؤلاء القصاصون

لقد اطلت القول وانتِ تنتظرين ان تعرفي كيف صارت هذه المقاطعة . نعم ،
واليك البيان :

تعلمين أنا كما تقابل وتكتائب ، فزرتها يوماً فوجدتها غائبة عن منزلها ،
فكتبتُ إليها فلم آخذ جواباً ، فكتبت ثانية فجاءني منها الكتاب الآتي نصه :

١٠ ابريل حضرة الفاضل الكريم المحترم

نشرفت بكتايبك الأول والثاني ، المؤرخين في ٧ و ٩ الجاري ، وها أنا اجارب
حضرتك عليهما معاً ، فأقول : لقد رأيت بعد التفكير الطويل ان علاقتنا القديمة
لا حاجة اليها ولا فائدة منها ؛ ولذا أرجوك أن تعذرنني على عدم تمكني في المستقبل
من مكاتبتك ومقابلتك ، بيدَ اني أبقى ذاكرة على الدوام مكارم اخلاقك وحسن
شماثلك ؛ ولا أزال اعتبر نفسي الصديقة المخلصة
أمانة

دهشت من هذا الكتاب ، ولم أفهم ما اقرأ لأول وهلة ، فكررتُ القراءة على
مهل ، ويدياي ترتجفان ، وعيناي تحمدقان في هذه الحروف المرسومة ، لعلني استنتج
من أشكال رقما حالة الانفعال النفساني التي كانت امانة عليها عند كتابتها ؛ فوجدتها
متناسقة جميلة ، على أحسن ترتيب ، مما يدلُّ على ان الكتابة كانت على اتم ما
يكون من الرواق والارتياح ؛ وجعلت أفسر هذا الكتاب الوجيز كما يفسرون طنجماً
بهماً ، فأخذ تفسيره عندي ما لو كتب لملأ مجلداً

صرت بعد « العزيز والحبيب » حضرة الفاضل الكريم المحترم

نعم ما دام أن قلبها قد انقلب ، فقد صار حبنا لا حاجة اليه ولا فائدة منه . على
أنه قد كان ذا فائدة ، واليه حاجة فيما مضى ، قد كان الدم الذي به تحيا

والمرء يحب الذكرى اللذيذة ؛ فأخذت مجموعة رسائل أمانة وجعلت أقلب في

صفحاتها ، فوقع نظري للحال على كتاب سأنتقل اليك بعضاً منه . قالت :
 « الوقت الآن نصف الليل . الناس نيام والطبيعة هادئة ساكنة . لا صوت ،
 ولا حركة . لم استطع النوم فقمتم الى الحديقة لأناجيك . جلست على المقعد وتخلّلتك
 واقفاً بجانبني ترنو اليّ بتلك النظرات وتبسم لي . نسيم لطيف يمرّ بجانب وجهي
 فأعلمه اليك تحيتي . ليتك الآن خارج غرفتك فكنت تسمع النسيم ينقل اليك قولي
 « أحبك دائماً » . تلتشق هذا النسيم فان روحي صائرة معه اليك »

ولا يخالو كتاب من كتبها من مثل هذا المعنى

قلت لها مرة ؛ بل غير مرة : يا أمانة تحدثني نفسي بأن حبك هذا لا يدوم ،
 وبالشدة ما أخشى زواله ؛ فقالت : بل يدوم الى الأبد . قلت : اسمي . لا ينشأ الحب
 عبثاً ، بل لا بد أن يكون في المحبوب مزية او مزايا راقية في نظر المحب فأحب
 صاحبها ، واذا كنت قد رأيت بي مزية تحبينها ، فليست منفرداً بها وحدي ، بل أنها
 توجد في غيري ، وربما بصورة أعظم وأجل . وقد يوجد من يتحلى بمزايا ومحاسن
 متعددة ، والقلب يميل الى الافضل . قالت لقد رأيت كثيراً ولم أر مثلك . قلت
 سترين في المستقبل . قالت لن يوجد مثلك أبداً

راجعت ضميري فلم أجدي أنيت سبباً يوجب هذا الانقلاب . وأنت تعلمين انها
 حرة بفؤادها وسنوكها . فالسلطة الادبية لا تؤاخذها على حبها هذا الشريف ولا
 سلطة شرعية عابها تحول دون استمراره واعلانه . فليس اذاً هنالك سبب خارجي
 دعا الى هذا الانقلاب والسبب منها ولا شك . فما هو ؟

لقد صح انذاري . ورأت من هو أفضل مني حاولت الجمع بين حبين ، ولكن
 غيرة الحبيب الجديد قطعت صلة الحبيب القديم . هي تظنني أجهل هذا السبب فدعها
 مطمئنة الى ظنّها . . . هنيئاً لها . . . !

انوس



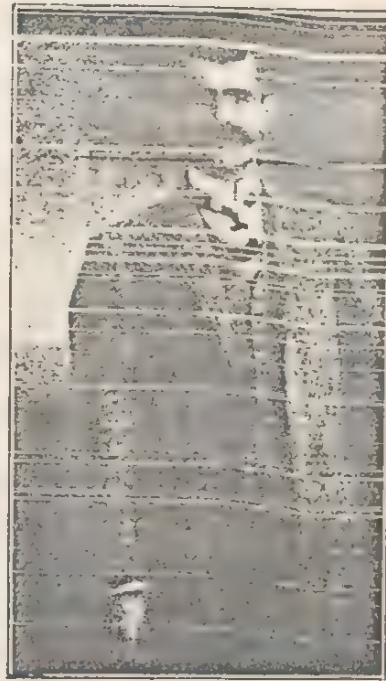
ثمرات المطابع

• دليل لبنان وسوريا ^(١) - صدر الجزء الأول من هذا المؤلف الذي يهتم بوضع حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد ، وقد تناول فيه البحث جغرافية سوريا الطبيعية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بتجارة تلك البلاد وصنائعها وفنونها وأديانها وطوائفها ولغاتها وحضارتها الى غير ذلك من الابحاث التي تدل على اجتهاد عظيم وتنقيب كبير لجمع المعلومات والمستندات اللازمة وإبرازها في أحسن قالب والكتاب مقدم الى دولة الامير محمد علي باشا شقيق الجنب العالي الخديوي الذي عرف السوريين قاطبةً بأياديه وأيادي الأسرة العلوية عليهم وعلى بلادهم . ولا نشك في أن الاقبال سيكون عظيماً على هذا الكتاب لا سيما في مطلع فصل الصيف حيث يكثر عدد مرتادي لبنان وسوريا انتجاعاً للعافية فيجدون في دليل لبنان وسوريا ، كل ما يتفنون من الفوائد عن البلاد التي يقصدونها . وقد اهتم الأجانب كثيراً بوضع مثل هذا الدليل لبلادهم تشويقاً للسائحين وتسهيلاً للمسافرين . فلم يكن بد من تأليف مثله عن لبنان وعدد المصطافين فيه يزداد عاماً فعاماً . فنشكر لمسعد افندي خدمته هذه ونثني على جده ونشاطه

• الترجمان الطلياني ^(٢) - عنيت ادارة المكتبة العمومية المشهورة بما لها من الآثار الطيبة في عالم المطبوعات بوضع هذا الترجمان الطلياني باللفظ العربي ، فجاء شاملاً وافياً بالفرض المقصود . وهو مصدّر بملحوظات مفيدة عن اللغة الطليانية وكيفية النطق بحروفها ، يليها معجم وافٍ في مفرداتها مرتبة حسب المعاني ، ثم فصول عديدة للتخاطب في مواضيع متنوعة . وقد وُضع بعد كل كلمة أو جملة معناها العربي وكيفية التلفظ بها بحروف عربية حتى أنه ليسهل على الراغب في اللغة الطليانية أن يتعلمها وحده لفظاً وفهماً بدون مساعدة استاذ

(١) طبع في مصر ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالنجالة . وفي سوريا من المكتبة العمومية وثمنه ٣ فرنكات

(٢) طبع في المطبعة العلمية في بيروت وثمنه فرنك ونصف مع ربع فرنك اجرة البريد



شيلي بك ملاط

مافظ بك ابراهيم

مندوب ادباء سوريا

﴿ مثال من خط خليل مطران ﴾

ولان امر الصبح ان يتلما
 ويصير امره الساء اليه فتجا
 خط الظلم يتلما
 ويرجع نوره اليه فتجا
 دنيا طامعا اجراء اتم فتى نذل
 منم يسم منه الدين وقدرى

مقطع من قصيدته الشهيرة « الجنين الشهيد »

الحفلة الاكرامية

« خليل افندي مطران »



حَيَّتْ يا وطنًا تصبو القلوبُ الى أرجائه وبه الأرواحُ تقبضُ
شمسُ المعارفِ في علياءِ جامعةٍ أطرافه وهي فيما بينها وسَطُ
في ذرى « الأرز » جبلٌ من أشعتها يُلقى وجبلٌ على « الاهرام » منبسطُ
ابراهيم البارهي

في الحفلة التي أقامتها « مجلة سركيس » في الرابع والعشرين من الشهر الماضي ، احتفالاً بالانعام على خليل افندي مطران بالبحيدي الثالث ، تجلّت هذه « الشمس » بأجلى مظاهرها ، وألقت من قرصها الذهبي المنقذ أشعة الحب والوثام والصفاء على مصر وسوريا اللتين كان يمثلهما في دار الجامعة « نخبة الادباء والفضلاء والوجهاء في القطرين الشقيقين .

المحتفل به رجل عرّفه عشراؤه بالمرؤة ودمائه الخلق وسعة الصدر
وعفة اللسان والوفاء للصديق ، فأحبه الجميع . وكأن الشاعر عناء بقوله :
إذا كنت من كل الطباع مركباً فأنت الى كل القلوب حبيب
هذه بعض صفات الرجل ؛ اما الشاعر الذي في بُرْدِي خليل ،
فقد عرّفته النفوس خلّاباً ساحراً ، والافئدة محرّكاً مستفزاً . شهدت
له بكل ذلك نبضات قلوب قرائه ، كما شهد له اخوانه في الأدب بقوة
بيانه ، وذكا ، جنانه ، فاسمع ما قالوا فيه في تلك الحفلة ، وشهادة مثل
هؤلاء حجة . قال حافظ بك ابراهيم :

قد سمعنا خليلكم فسمعنا شاعراً أقمد النعي وأقاما
وطمنا في شأوه فقعدنا وكسرنا من عجزنا الاقلاما
نظم الشام والعراق ومصرأ سلك آياته فكان الإماما
فمضى النثر خاضعاً ومشى الشه رُ وألقى الى الخليل الزماما
فقدنا له اللواء علينا واحتفلنا نزيده إكراما

وما أبلغ هذه الشهادة اذا جاءت تركيتها من حفي بك ناصف القائل :

يا شعر مطران لعب ت بلينا ونفت سحرك
لله ما أحلاك يا سحر البيان وما أمرك
ان ملت يوماً للشنا ء نثرت في الاسماع دُرّك
واذا استفزك عابث يوماً كفانا الله شرك
واذا هويت خلبت من نهواه واستنزلت بدرك

وقال نقولا افندي رزق الله :

تأمل كرافاتيل وأرسم فهذه أمامك دنيانا وأنت المصور

صنّ الجوّ والأفلاك والأرض والسما
نرّم بيت الشعر تُميش نفوسنا
وما تُظهِر الأيامُ منها وتُضمرُ
فنحنُ ومن في الشرقِ نُصفي ونكبرُ
وقال نغوم بك شقير :

ويبدو كما شاء في شعره
إذا رامَ ذمًّا فجمرُ الغضى
فطيرُ الأراكِ وليث الأجمِ
وإن رامَ مدحاً فزهرُ الأكَمِ
فقلتُ : أشاعرُ هذا الزمانِ
خليلٌ ؟ فقال الزمانُ : نعم !

وقال احمد افندي نسيم :

قوافي ، لو أنّ الحسنَ صاغَ حروفها
ولو سمعتها الطيرُ في وكنائِها
بعقدٍ ، لكانت لؤلؤاً وزبرجدا
لقات هديل الشعرِ عاد وغردا
ففي شعره روحُ المهلهلِ تارة
وآونةً روحُ الوليدِ اذا شدا

وقال اسعد افندي داغر :

أمير القوافي الذي صيئهُ
فرنت قصائدهُ في العراقِ
كشمسِ الضحى عمّ تسيارهُ
وجابت تهمّةَ أشعارهُ
وفي مصر ديوانةُ عامرٍ
ورهُط البلاغةِ نظّارهُ

كل هذه الشهادات الثمينة سجّلها لمطران استاذ الشعر في هذا
العصر اسماعيل باشا صبري اذ قال :

قلمٌ تصدرُ الحقائقُ عنه
ولسانٌ يمسي يُدبّرهُ فك
حالياتٍ في أجمل الأبرارِ
رٌ كبيرُ النعى كبيرُ المرادِ

وكان رئيس الحفلة وهلالها الساطع دولة الامير الخطير البرنس محمد
علي باشا شقيق ملك مصر، فجاءت شهادته لوحدها جامعة لشهادة الادباء.

والاصدقاء ، والشعراء ، والقرءاء ، فقال من خطبته النفيسة :

« ولقد سمعتُ منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيْت ، فابتهجْتُ بما وصل اليَّ من أفكاره السديدة التي تنبئُ عما هو عليه من علوِّ في الهمة ، وثبات في الرأي ، ووفور في العلم . ولم يكن إعجابي به لما أُوتيه من المواهب الجليلة في دولة العلم فقط ، بل لما تحلَّى به ايضاً من الأخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة ، وتباعد بينه وبين التحقير للغير ، حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار ، متأهباً لنيل المجد والفخار . . »

ولستُ أدعي ان اقدم لقراء « الزهور » في بضع صفحات كل ما قيل في هذه الحفلة النادرة وقد كلفَ سر كيس جمعةٌ مئة وستين صفحة من مجلته ، ولا أن أصف في سطور قلائل ما شهدتُ ورأيت في دار الجامعة وقد تقصر عن ذلك الصفحات الطوال . غير انه لا يسعني الا ان أخصَّ بالذكر اخواننا أدباء لبنان وسوريا ، فانهم أحبوا اغتنام هذه الفرصة لاحكام الروابط الادبية المتينة التي تربط الامتين ، فأوفدوا اديبهم الكبير وشاعرهم البليغ شبلي بك ملاط ليمثلهم في هذه الحفلة ، فقام بمهمته خير قيام ، وأنشد قصيدة عصماء اهتز لها السامعون طرباً ، كما يحقُّ لموفديه ان يهتروا لها عجباً ، وقد اكرمت مصر في شخصه الكريم ادباء سورية قاطبة ، فاحتفى به امرأؤها وسراتها وأعيانها وأدباؤها ، وعن اكرام المصريين للضيوف الادباء حدث ولا حرج

أعود الى الحفلة فأقول : وقد أراد فريقٌ من اصدقاء خليل مطران

والمعجبين به ان يقدموا له شيئاً غير الشعر الثمين والنثر العالي ؛ فأهدت
إليه السيدة النبيلة مدام تقلا باشا والدة صاحب « الاهرام » ديوانه مجلداً
في غلاف نفيس من الفضة المحلاة بالذهب فكانت الهدية غايةً في
الذوق اللطيف ، وأهدى إليه سعادة عبدالله باشا صغير قلماً ذهبياً ، رمزاً
الى التبر الذي يسيل من قلم الشاعر ، وقدم إليه عزتلو حبيب بك لطف الله
النشان المجيدي المنعم عليه به . وحمل اليه مندوب سوريا من سعادة سليم
بك ايوب ثاب ساعة ذهبية جميلة . وأهدت اليه السيدة الفاضلة لبيبة
هاشم صاحبة مجلة « فتاة الشرق » أبياتاً من الشعر في اطار جميل كتبتهما
بخطها الطريف

وقدّمت له الكاتبة الشهيرة الآنسة مي باقةً جميلة - في شكل
خطبة غراء - جمعت ازهارها من رياض الخيال ، ورياحينها من حدائق
الشعور ، فعطرّ شذاها الارحاء وأنعش الارواح
هذا بعض ما جمعته لقرائي عن تلك الحفلة التي تحدّثت بها أنديةتنا
ومجتمعاتنا الأدبية كل هذه الأيام

اما صديقي سليم سر كيس فكل ثناء عليه يظلّ دون همته وتقانيه
وكفاه بنجاح فكرته مدحاً وتقريظاً . ولئن كان « الخليل » اهلاً لكل
ثناء قيل فيه فان « السليم » الذي كان « زنبلك » كل هذه الحركة يستحقّ
ايضاً حظاً وافراً من الثناء . وقد بتنا نتوقع له نصيباً من انعامات أمير
النيل لنمقد له حفلة لم ترها عين ، ولم تسمع بها اذن ، ولا خطرت على
قلب بشر

عصا حافظ وجزمة الشميل

حافظ ابراهيم و خليل مطران يشتغلان الآن معاً بترجمة كتاب «علم الاقتصاد» للكاتب الفرنسي «ليروي - بوليو» ؛ فتراهما يروحان ويحيثان بين المكتبة والمطبعة ، ويبحثان وينقبان عن لفظة عربية تؤدي معنى الاصطلاحات الفرنسية . وليس ذلك دائماً بالأمر السهل ؛ وسأعود الى زيادة التفصيل عن هذه المسألة في جزء آتٍ . ولم أذكر اليوم كتاب «علم الاقتصاد» إلا عرضاً فقط ، لأنه جمعي في ٦ ابريل الماضي بأحد نصفي المغرب حافظ بك ابراهيم ، فلمحت في يده عصا عليها شارةٌ تُقَسَّ فيها تاريخ إهدائها إليه ، فاذا هو «٦ ابريل ١٩٠٧» . اتفاقٌ غريب ! وأغرب منه ان تلك العصا قد رافقت «حافظاً» ستة أعوام كاملة ، سلمت فيها من البيع والرهن والسرقة

عجيباً له حفظ العنان بأنامل ما حفظها الاشياء من عاداتها

ولعلي أدركتُ السرَّ في بقائها ، فهو يهشُّ بها على غنمه وله بها مآرب أخرى : فيها يضربُ القوافي فتفجرُ له سحراً حللاً ، كما كان موسى يضربُ بعصاه الصخرَ فيتفجرُ له ماء زلالاً . أو لعلَّ «عصا حافظ» لها منزلة من نفسه كنزلة «جزمة» الدكتور شمیل ، وقد أودعها كلَّ ضروب الفلسفة

وحكاية هذه «الجزمة» انني زرتُ يوماً الدكتور الحكيم برفقة رهنه من الادباء ، فوجدناه في غرفة عبادته جالساً الى مكتبه ، وهو في ملابس البيت ؛ فحادثنا وحادثناه مدة ؛ ثم اشتدَّ الجدالُ على مسألة من المسائل ، فقال الحكيم هازلاً «دعوني أشدَّ جزمي ، فأكون أقوى حجة» ، واكثر استعداداً للمناقشة ، قال ، ونهض الى مخدعه ، وعاد على تمام الأبهة بعد أن «شدَّ جزمته» ، فقلتُ له : «قد أدركتُ سرَّك يا حكيم ، وعرفتُ مواطن الضعف فيك ، فإنَّ منزلة هذه «الجزمة»

منك منزلة شعر شمشون منه ، فضحك الشميل ضحكته المعتادة ، فزدتُ جرأةً
وقلت : « متى اشتدَّ تقريعتك لنا في « جلسات سيلند بار » ، سنعمد الى جزمتك ،
ونزعاها من رجلتك ، فندعك أعزل بلا سلاح ... »

أما وقد عرف القراء سرَّ حافظ والشميل ، فلينزعوا من الأول عصاه ،
وليسلخوا من الثاني جزمته ، اذا أرادوا ان يستريحوا من فلسفة هذا وشعر ذاك .
على انني أخشى ، وقد بحثُ بالسرِّ ، ان يتحوَّل القراء الى جزمجية وخطابين ،
حتى يمتنعوا طويلاً بذلك الشعر الرقيق ، والنثر الشيق

ناصر



من كل حديقة زهرة

« ابتدع أحد الاطباء الاميركان طريقةً لخدمة المرضى ، وهي انه ربي كثيراً
من الحمام الزاجل وجعل أوكار هذا الحمام الى جانب صيدليته . فاذا ما دُعي لمعالجة
مريض ، حمل معه بعض الحمام فيكتب الوصفة ، ويعلقها بعنق الحمامة ، ثم يُطلقها
الى الصيدلية ، فيتناول الصيدلي الوصفة ، ويركبها ، ويرسلها الى المريض مع
راكب دراجة

« دعا مدير سجن سنت كوانتين في سان فرنيسكو الممثلة ساره برنار لتمثل
أمام ١٩٠٠ سجين في ملعب أقامه في فناء السجن . وبعد التمثيل ناط المسجونون
بواحد منهم تلاوة خطابٍ باسمهم وجهوه الى الممثلة الشهيرة

وحدث في سجن ريفرهرد ان سجيناً شكّت مدير السجن لانه يعاملها معاملة
سيئة . فظهر التحقيق أن السجينين يقيمون حفلات رقص وغناء داخل السجن
للنساء والرجال ، فالسجينات ومديرهم كانوا يفضلون الرقص مع الفتيات الاصغر عمراً
من الشاكبة التي أربي عمرها على الخامسة والاربعين

✽ وأنشأ الأميركان في نيويورك سجنًا للزواج المطلقين الذين يأبون دفع النفقة
لنساءهم جعلوه ناديًا يلعب فيه المسجونون ويأكلون ويستحمون ويتعاملون كأنهم
في أحد لاندية . وقد دلَّ احصاء السجون الاميركية وميزانيتها على ان هذه
الحكومة تُنفق على السجين من هولاء في كل عام ١٨٥٠٠ فرنك

✽ يعرف علماء الفراسة أخلاق الانسان من أسرّة وجهه وتقاطيع رأسه . ويعرف
فريق منهم هذه الاخلاق والاميال والاهواء في الانسان من خطوط يده . وقد
ظهر في اوروبا مذهب جديد ، وهو ان الانسان يُعرف من تركيب رجله وقدميه .
واصحاب هذا المذهب يقولون « الرجلُ هي الرجلُ » واشتهرت الكونتس
دي روشفو كولد في ذلك والفت في هذا الفن كتابًا

✽ سنت ولاية ايلينوا الاميركية قانونًا للصحافة يقضي بالآ يُسمح لاحد بتعاطي
الحرفة الصحافية في تلك الولاية دون أن يكون حاملًا الشهادة بذلك بعد أن يقضي
أربع سنين في تلقي هذا الفن . ولا يعطى الشهادة الا اذا امتحن امام لجنة تثبت
قدرته وأدبه وطيب أخلاقه . ومن راسل جريدة دون أن يكون حاملًا الشهادة
يفرّم من دولار الى خمسة دولارات وتغرّم بمثل ذلك الجريدة نفسها

✽ سئل كثيرون من كبار الفرنسيين رأيهما في تخويل المرأة حق الانتخاب
كالرجل ؛ فكانت الغالبية من المنكرين على المرأة هذا الحق . ولكن فريقًا منهم
استثنى من ذلك المرأة التي لا يمثل عائلتها أحد في الانتخاب . فهذه تخول حق
الانتخاب . أما المتزوجة فيرى ان زوجها ينوب عنها

✽ في أمثال الصينيين في الزواج « ان الزواج قلمة محاصرة : من كان خارجًا
عنها ، يؤدّ الدخول اليها ؛ ومن كان فيها ، يؤدّ الخروج منها »